أدباء الأطفال العرب
في النصف الأول من القرن العشرين(*)

تاريخ أدب الأطفال حافل بالعديد من الأدباء والكتّاب الذين وقفوا أقلامهم وأفكارهم للنهوض بأدب الأطفال في ربوع العالم المختلفة، ولتقديم ألوان ثقافية متنوعة يجد فيها الطفل المتعة وحلاوة الكلمة، والفكرة البسيطة التي يستطيع فهمها بسهولة، وأسلوب سلس جميل يدعو الأطفال إلى التشبث بعادة القراءة والمطالعة، لتتسع آفاق الخيال عندهم، وتنمو لديهم القدرة على تذوق الجمال ومعرفة الحق والخير والقيم الفاضلة، التي تزدان بها الحياة، وتمييزها عن الأعمال الأخرى التي من شأنها تكدير صفو الحياة وبهجتها.

وقبل الاعتراف بوجود أدب الأطفال كأدب قائم بذاته له شخصيته وأسلوبه وفنونه وألوانه ووسائطه، كان الأطفال يلجؤون إلى كتب الكبار لقراءتها ومحاولة الاستمتاع بما فيها من مغامرات وخيال مشوق؛ حتى إن شهرة بعض الكتب جاءت نتيجة تعلق الأطفال وشغفهم بقراءتها على الرغم من أن تلك الأعمال لم تكتب أو توضع أصلاً للأطفال؛ مثل قصة «جزيرة الكنز»، وقصة «رحلات جلفر»، وقصة «روبنسون كروزو»، وغيرها من القصص والأعمال الأخرى.

وقد اشتهر العديد من الأدباء الذين كتبوا للأطفال، ونال بعضهم شهرة واسعة في عالم الأدب لم ينلها الذين كتبوا في فروع المعرفة الأخرى، وذاع صيتهم خارج حدود بلدانهم حتى طبقت شهرتهم الآفاق، وترجمت أعمالهم إلى معظم لغات الأرض الحية ـ إن لم نقل جميعها ـ، ولا يزال بعض هذه الأعمال تعاد طباعتها عاماً بعد عام، على الرغم من مضي أكثر من قرن على ظهورها أول مرة. ومن بين أولئك الأدباء على سبيل المثال لا الحصر، الكاتب الدانمركي «هانز كريستيان أندرسن»، و«الأخوان غرم» من ألمانيا، و«شارل بيرول» من فرنسا.

(*) نشرت بمجلة الناشر العربي، ع12، 1988.

وفي هـذا المقـال نتنـاول حيـاة عـدد مـن الأدبـاء العـرب وأعمـالهم مـن الذيـن سخَّروا أقلامهم وحياتهم للكتابة للطفل العربي، الذي كان يعاني حرماناً شـديداً مـن أدب يكتب له خاصة، يستمتع بـه كمـا يسـتمتع أطفـال الـدول الأخـرى بـأدبهم الـذي يكتب خصيصاً لهم، مراعياً كل جوانب النمو العقلي واللغوي لـدى كـل مرحلـة مـن مراحل الطفولة المختلفة. وكان بينهم رواد لأدب الأطفـال فـي اللغـة العربيـة، وقفـوا ضد كثير من العادات والمعتقدات الاجتماعية التي كانت تقف حجر عـثرة فـي سـبيل إيجاد أدب عربي للأطفال منذ أواخـر القـرن التاسـع عشـر وبدايـة القـرن العشـرين. . وستظل أعمال هـؤلاء الكتـاب والأدبـاء مشـاعل تضـيء تـاريخ أدب الطفـل العربـي، وستبقى مجهوداتهم في سبيل إرسـاء قواعـد ثابتـة لأدب الطفولـة فـي اللغـة العربيـة، مصابيح تنير الطريق لأدب الأطفال الحديث في كل أرجاء الوطن العربي.

أحمد شوقي:

يُعد أمير الشعراء أحمد شوقي (1285 ـ 1351هـ/ 1868 ـ 1932م) أول من كتب للأطفال العرب أدباً خاصاً بهم فـي اللغـة العربيـة، علـى الرغـم مـن أن الشـيخ رفاعـة الطهطاوي يعتبر أول من قـدم أدبـاً للأطفـال العـرب؛ ولكنـه كـان مترجمـاً عـن اللغـة الإنجليزية. وقد جاء اهتمام أحمد شـوقي بالكتابـة للأطفـال أثنـاء وجـوده فـي فرنسـا للدراسة فيها، وكان أدب الأطفال في فرنسا قد وصل مرحلة عظيمـة مـن التطـور فـي ذلك الوقت. واطّلع أحمد شوقي على ما كان يُكتب للأطفال فـي تلـك المنطقـة مـن العالم، كما اطّلع على غيره من الآداب الفرنسية وفنونها المتعددة من غنـاء ومسـارح وندوات ثقافيـة، وغـير ذلـك ممـا شـاهده وهـو فـي بـاريس. وأدرك أحمـد شـوقي «ببصيرته النافذة وعواطف الشاعر فيه حركات التجديـد بيـن الشـعراء الفرنسـيين. . . وأدرك بأن هناك جديداً ينبغي أن يتـأثر بـه شـعراء العربيـة، وأن هنـاك فنونـاً مسـتحدثة يجب أن نجد لها مكاناً في الأدب العربي»[1].

وقرر أحمد شوقي أن يجرب موهبته الشعرية في الفنون الجديدة التي اطلع عليها عنـد الفرنسـيين، مسـتفيداً بمـا قـرأه لنوابـغ الأدب الفرنسـي أمثـال فيكتـور هوغـو،

(1) علي الحديدي. الأدب وبناء الإنسان. طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، 1973، ص244.

ولامرتين، ولافونتين، وغيرهم من كبار شعراء فرنسا، فكان أن كتب الملاحم والمسرحيات الشعرية، ونظم الأغاني والقصص الشعرية، على لسان الطير والحيوان للأطفال. ويقول شوقي في مقدمة ديوانه الشوقيات الذي ظهرت الطبعة الأولى منه عام 1898، بأنه نظم هذه الحكايات والأغنيات محاكياً في ذلك أسلوب الشاعر الفرنسي الشهير «لافونتين». وكان كلما فرغ من كتابة مجموعة من شعره للأطفال «يقرأه على أحداث المصريين ليرى رأيهم فيه، فلما وجدهم يأنسون إليه استمر في صنعه»[1].

وقد كان شوقي بأناشيده وأغنياته التي كتبها على لسان الحيوان والطير للأطفال الصغار رائداً في الكتابة للأطفال، حيث كان أول من قدم أدباً عربياً خاصاً بالأطفال يتذوقونه ويستمتعون بقراءته ويطوفون من خلاله في بساتين الأدب والمعرفة المختلفة.

وقد وجّه شوقي النداء والدعوة إلى الأدباء العرب من أجل الاهتمام بأدب الأطفال، حتى يكون للأطفال العرب أدبٌ مكتوبٌ باللغة العربية شعراً ونثراً يخاطب عقولهم كما هو الشأن عند أطفال أوروبا. ومن المعلوم أن شوقي استحدث في اللغة العربية «نوعين من فنون أدب الأطفال المكتوبة هما القصة الشعرية والقصة الأدبية. وقد كتب للأطفال من الفن القصصي أكثر من ثلاثين قصة شعرية»[2]، ونظم العديد من الأناشيد والأغاني الأخرى. وقد جمع محمد سعيد العريان بعض الأناشيد والمقطوعات الشعرية التي كتبها شوقي للأطفال في الباب الرابع من الجزء الرابع من ديوان الشوقيات، وسماه «ديوان الأطفال». وقد احتوى على عشر قطع نظمها شوقي في مناسبات مختلفة، وتحمل العناوين التالية: الهرة والنظافة، والجدة، والوطن، والرفق بالحيوان، والأم، وولد الغراب، والنيل، والمدرسة، ونشيد مصر، وزفة الفأر، ونشيد الكشافة. ويقول شوقي في قصيدة «الجدة»[3]:

لي جدة ترأف بي ... أحنى عَلَيَّ من أبي

(1) شوقي ضيف. شوقي شاعر العصر الحديث. ط7. القاهرة: دار المعارف، 1977، ص87.

(2) علي الحديدي، ص245.

(3) أحمد شوقي. الشوقيات. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1964، جـ4، ص189.

وكـــل شـــيء ســـرني ... تذهـــب فيـــه مذهبـــي
إن غضب الأهل عَليَّ ... ـــي كلهـــم لـــم تغضـــب

ويقول في قصيدة «المدرسة»[1]:

أنـــا المدرســـة اجعلْنـــي ... كـــأم، لا تَمـــلْ عنـــي
ولا تفـــزع كمـــا أخوذ ... مـــن البيـــت إلـــى الســـجن
كـــأني وجـــه صيـــاد ... وأنـــت الطـــير فـــي الغصـــن
ولابـــد لـــك اليـــوم ... ـ وإلا فغـــداً ـــ منـــي
أو اســـتغن عـــن العقـــل ... إذن عنـــي تســـتغني
أنـــا المصبـــاح للفكـــر ... أنـــا المفتـــاح للذهـــن
أنـــا البـــاب إلـــى المجـــد ... تعـــال ادخـــل علـــى اليمـــن
غـــداً ترتـــع فـــي حوشـــي ... ولا تشـــبع مـــن صحنـــي
وألقـــاك بـــإخوان ... يدانونـــك فـــي الســـن
وتنـــاديهم بيـــا فكـــري! ... ويـــا شـــوقي! ويـــا حســـني
وآبـــاء أحبـــوك ... ومـــا أنـــت لهـــم بـــابن

ويقول في مقطوعة «نشيد الكشافة»[2]:

نحـــن الكشـــافة فـــي الـــوادي ... جـــبريل الـــروح لنـــا حـــادي
يـــارب بعيســـى والهـــادي ... وبموســـى خـــذ بيـــد الوطـــن

إضافة إلى هذه المقطوعات الشعرية الخفيفة، نظم شوقي للأطفال عدداً من الحكايات الشعرية التي تمتاز بسهولة في أسلوبها وتسلسل في أحداثها، مثل حكاية «القبّرة وابنها» التي يقول فيها[3]:

---

(1) نفس المصدر، ص196.
(2) نفس المصدر، ص200.
(3) نفس المصدر، ص157.

رأيـــت فـــي بعـــض الريـــاض قُـــبّرة
تطـــيّر ابنهـــا بـــأعلى الشـــجرهْ
وهـــي تقـــول: يـــا جمـــال العـــش
لا تعتمـــد علـــى الجنـــاح الهـــش
وقـــفْ علـــى عـــود بجنـــب عـــود
وافعـــل كمـــا أفعـــل فـــي الصعـــود
فـــانتقلت مـــن فنـــن إلـــى فنـــن
وجعلـــت لكـــل نقلـــة زمـــن
كـــي يســـتريح الفـــرخ فـــي الأثنـــاء
فـــلا يمـــلُّ ثقـــل الهـــواء
لكنـــه خـــالف الإشـــارهْ
لمـــا أراد أن يظهـــر الشـــطارهْ
وطـــار مـــن الفضـــاء حتـــى ارتفعـــا
فخانـــه جناحـــه فوقعـــا

وكذلك حكاية «الصياد واليمامة» التي يقول فيها[1]:

يمامـــة كـــانت بـــأعلى الشـــجرهْ ... آمنـــة فـــي عشـــها مســـترهْ
فـــأقبل الصيـــاد ذات يـــوم ... وحـــام حـــول الـــروض أي حـــوم
فلـــم يجـــد للطـــير فيـــه ظـــلا ... وهـــم بـــالرحيل حيـــن مـــلاَّ
فـــبرزت مـــن عشـــها الحمقـــاء ... والحمـــق داء مالـــه دواء
تقـــول جهـــلاً بـــالذي ســـيحدث: ... يأيهـــا الإنســـان، عـــم تبحـــث؟
فـــالتفت الصيـــاد صـــوب الصـــوت ... ونحـــوه ســـدد ســـهم المـــوت
فســـقطت مـــن عرشـــها المكيـــن ... ووقعـــت فـــي قبضـــة الســـكين
تقـــول قـــول عـــارف محقـــق: ... «ملكـت نفسي لـو ملكـت منطقـي»

(1) نفس المصدر، ص172.

والحكايات التي كتبها أحمد شوقي للأطفال توحي لنا بأن الشاعر كان على يقين تام بأن أدب الطفولة والأطفال هو «أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية، وأسلوب يكتشف به الطفل موطن الخطأ والصواب في المجتمع، ويقف على حقيقة ما في الحياة من خير وشر»[1]. ولهذا كان أحمد شوقي يرى بأن الأطفال حتى لا يخدعوا حين يواجهون الحياة، يجب أن يُصوّر لهم ما فيها من شر وظلم واستغلال، وتحكم بالصورة الموجودة عليها في المجتمع، جنباً إلى جنب مع العدالة والخير والحب والتعاون، لأنها في الحياة كذلك.

وهذا الفهم الواعي والعميق للدور الذي يمكن أن يلعبه أدب الأطفال مُنح شوقي لونٌ من المعرفة الواعية بنوع الأدب الذي يقدمه للأطفال، فأعطاهم به صورة واضحة لمجتمعهم الذي سيعيشون فيه، ولمشكلات الحياة التي سيواجهونها فيما بعد»[2].

محمد الهراوي:

يُعتبر محمد الهراوي (1302 ـ 1358هـ/ 1885 ـ 1939م) من الذين وضعوا علامات مضيئة على طريق الكتابة للأطفال العرب؛ حيث «أخذ نفسه، في جد وإخلاص، بمعاناة الكتابة لناشئة الجيل ونابتة المستقبل، فأبدع منظومات سهلة العبارة قريبة التناول، سائغة المعنى، في أوزان غنائية رقيقة، وألفاظ عذبة تدخل البهجة والسرور على الأطفال، وعالج بها موضوعات تلائم روح الطفولة، وتساعد الأطفال على تنمية مدركاتهم، وتكشف لهم طريقة التعرف بعالمهم والإحساس به»[3].

ولد الهراوي في قرية «هرية رزنة» وتعلم بالقاهرة، ثم دخل سلك الوظيفة كموظف بوزارة المعارف من سنة 1902 حتى 1911، ونقل بعدها رئيساً للحسابات بدار الكتب بالقاهرة، وظل بها حتى وافاه الأجل عام 1939[4].

---

(1) علي الحديدي، ص246.

(2) نفس المصدر، ص247.

(3) نفس المصدر، ص259.

(4) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5. بيروت: دار العلم للملايين، 1980، مج6، ص106.

وكتب الهراوي للأطفال، في وقت كانت الكتابة لهم تسيطر عليها فكرة عند الأدباء، مفادها أن الكتابة للأطفال لا يخوض فيها إلاّ أولئك الذين ليست لهم القدرة على الكتابة للكبار، حيث كانوا يرون أن الكتابة للناشئة لا ترتفع بالكاتب إلى سدة المجد الأدبي الذي يطمح الأديب إلى الوصول إليها. ولم يقف الحد عند هذا. بل إنهم كانوا ينظرون إلى الكتابة للأطفال نظرة استخفاف واستهانة، ومن هنا كانت الكتابة للأطفال والتأليف لهم في ذلك الوقت تعد تضحية كبيرة، لا يقدر عليها إلاّ الذين آمنوا بأن الكتابة للأطفال فنٌ من الفنون الأدبية، لها دورها في تنشئة الأطفال وتثقيفهم وتغذية أفكارهم وعقولهم بشتى المعارف والحقائق والمعلومات وألوان التسلية والمرح، مثلها في ذلك مثل الفنون الأدبية الأخرى.

وكان الهراوي من المؤمنين بالطفولة وبالكتابة لها، فلم يأبه بما كان يسمع من تهكُّم وسخرية، بل استمر في الطريق الذي اختاره وآمن به، والهدف الذي جعله نصب عينيه، وهو تربية النشء الصغير وتوجيهه الوجهة السليمة الصالحة، وتثقيفه وإمداده بما يحتاج إليه من زاد ثقافي، ليساعدة على بناء مستقبله ومستقبل المجتمع والوطن. وفي عام 1922 ظهرت أول كتابات الهراوي للأطفال. وهي منظومات قصصية بعنوان (سمير الأطفال للبنين)، وأتبعه في العام التالي ـ 1923 ـ بمجموعة أخرى سماها (سمير الأطفال للبنات)، وكان كل منهما في ثلاثة أجزاء. وفيما بين سنتي 1924 و1928 كتب الهراوي أغاني الطفولة في أربعة أجزاء، وهو عبارة عن منظومات شعرية سهلة بالصور، وقد كتبها لتناسب السنوات الأربع الأولى من المدرسة الابتدائية، بحيث كان الجزء الأول للصف الأول، والجزء الثاني للصف الثاني... إلخ[1]. ومن أعمال محمد الهراوي للأطفال نذكر: الطفل الجديد، ومسرحيات الأطفال، وأبناء الرسل، وقصص الأطفال.

كامل الكيلاني:

كامل الكيلاني (1315 ـ 1379هـ/ 1897 ـ 1959م) أول من كتب القصص للأطفال في الأدب العربي الحديث. ولد بالقاهرة وبها تعلم، وكان يجيد اللغة الإنجليزية

(1) علي الحديدي، ص260.

والفرنسية. اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية القديمة، ثم دخل سلك الوظيفة الإدارية، فكان من موظفي وزارة الأوقاف من 1922 حتى 1954. وكان من بين المهام التي تولاها مهمة أمانة مجلس الأوقاف الأعلى. ويعرف عن الكيلاني أنه كان يقيم الندوات الأدبية الأسبوعية في منزله يحضرها العديد من أصدقائه، وقد استمر عقد هذه الندوات الأسبوعية زهاء ثلاثين عاماً[1].

وكامل كيلاني يعد رائد مدرسة الكتابة للأطفال في البلدان العربية كلها، وقد أحس بحاجة الطفل العربي إلى أدب يزيده حباً في لغته، ويوقظ فيه مواهبه واستعداداته، وينمي خياله، ويقوي ميله وطموحه، وينتهي به إلى الشغف بالقراءة والمثابرة عليها، فقدم له قصصاً منها: المؤلف والمترجم والمقتبس والمعرب ضمنها روائع القصص والأساطير الشرقية والغربية «أراد بها أن تكون أساساً قوياً لبناء جيل جديد، لا يستعصي عليه في مستقبله أن يستمرئ ألوان الأدب العربي الرفيع وفنون الثقافة العربية الأصلية»[2].

وفَهْم الكيلاني لحاجات الأطفال وميولهم جعله يقدم لهم أدباً يتدرج مع سنوات الطفولة، وكان موفقاً كل التوفيق في اختياره لموضوعات قصصه بحيث خص كل مرحلة من مراحل الطفولة المختلفة بقصص وحكايات تلائم وتناسب المستوى الفكري واللغوي لها. وكانت القصص في أسلوب بسيط سهل يحبب الطفل الإقبال على القراءة ومتعتها. ولم يتوقف كامل الكيلاني عن الكتابة للأطفال حتى وفاته عام 1959 بالقاهرة.

وقد اهتم الكيلاني في كتاباته للأطفال بتزويدهم «بثروة لغوية تتدرج بهم من حكايات الروضة إلى قصص الشباب في المرحلة الثانوية، فإذا ما انتهوا من آخرها التحقوا بالجامعة ليدرسوا فيها وصادفوا أمهات الكتب في الأدب وغيره، لم يشعروا بالمفاجأة، ولم تواجههم الصعاب»[3].

---

(1) خير الدين الزركلي، مج5، ص217.

(2) علي الحديدي، ص263.

(3) نفس المصدر، ص265.

وعناية كامل الكيلاني بتنشئة الأطفال جاءت من اعتقاده بأن «طالب الإصلاح في أمة يجب أن يبدأ عند أول الطريق، وأول الطريق الطفل، فالعناية به اليوم عناية بالأمة جميعاً في غدها»[1].

وكتب كامل الكيلاني للأطفال أكثر من مائتي قصة ومسرحية، كان أولها قصة السندباد البحري، التي ظهرت عام 1927، وكان آخرها قصة نعجة الجبل، وكانت قصصه للأطفال تحتوي على العديد من الموضوعات الشرقية والغربية، ومن الأعمال التي قدمها للطفل العربي: حكايات الأطفال، وحكايات جحا، وقصص الجيب، وأساطير الحيوان، وعجائب القصص، وقالت شهرزاد، وأساطير إفريقية، وقصص من ألف ليلة، وقصص هندية، وقصص عربية، وأساطير العالم، وقصص علمية. كذلك كتب للشباب مجموعة من الأعمال منها: ملوك الطوائف، ونظرات في تاريخ الإسلام، وذكريات الأقطار الشقيقة، . . . وغيرها، وفي أواخر حياته كتب سلسلة «من حياة الرسول»، ليفهم الأطفال العرب من خلالها أمور دينهم الإسلامي عن طريق معرفتهم سيرة رسول الله، صلى الله عليهم وسلم. وقد ترجمت بعض أعمال الكيلاني إلى بعض اللغات الأوروبية والشرقية، وحاز بعضها تقديراً كبيراً في عدد من معارض الكتب الدولية[2].

محمد سعيد العريان (1905 . 1964):

يُعد محمد سعيد العريان، إضافة إلى شوقي والهراوي والكيلاني، من القمم الشامخة التي ارتفعت بأدب الأطفال في اللغة العربية، ووصل به إلى درجة رفيعة من الكمال الفني، بحيث أصبح مثلاً للذين يكتبون للطفولة من بعده. وقدم محمد سعيد العريان العديد من القصص للأطفال كانت كلها ذات أسلوب مشرق العبارة، محبب إلى نفوس الأطفال، في لغة تناسب عمرهم العقلي واللغوي.

---

(1) عبد الغني محمد حسنين بدوي. «كامل كيلاني الرائد العربي لأدب الأطفال». العربي. ع106، ديسمبر 1967، ص106.

(2) نفس المصدر، ص107.

وكانت معظم قصصه ذات مغزى ديني واجتماعي وأخلاقي، تحبب إلى الطفل الفضيلة وتكشف له عن جمالها، وتنفره من الرذيلة والعمل الشرير[1]. وقد بذل العريان جهوداً كبيرة للدفع بهذا النوع من الأدب، ليأخذ مكانه في اللغة العربية والأدب العربي. وأعطت تلك الجهود دفعاً قوياً لدى مؤسسات التعليم في مصر، فكان أن غصت المكتبات المدرسية بالعديد من قصص الأطفال وأصبحت في متناول كل طفل.

وقد أصدر العريان مجموعته الأولى للأطفال عام 1934، وكانت تحت عنوان القصص المدرسية، احتوت على 24 قصة اشترك في إصدارها مع العريان كل من «أمين دويدار» و«محمد زهران»، وأصدر بعدها مجموعة أخرى من القصص والحكايات اختار لها عنوان (كان يا ما كان).

وعندما دخلت دار المعارف المصرية ميدان المنافسة في إصدار مجلات الأطفال وإنتاجها، وأصدرت مجلتها سندباد عام 1951، اختارت محمد سعيد العريان رئيساً لتحريرها في محاولة من الدار لتحقيق التوازن المطلوب في المجلة، حيث حاولت دار المعارف المزج بين صحافة الأطفال ذات الأهداف التربوية والاتجاه المدرسي والطابع التجاري لهذه المجلة[2]، وكانت مجلة سندباد من المجلات التي حرصت على «الابتعاد عن القصص الأجنبي والأدب المترجم، واقتصرت على القصص العربي من مسلسلات طويلة من ألف ليلة وليلة أو قصص قصيرة. واهتمت بحروف الطباعة النسخ المُشكَّلة بشارات الإعراب اللغوي، فبدت كأنها أجزاء من كتب القراءة والمطالعة المدرسية»[3].

وقد استمر العريان في رئاسة تحرير مجلة سندباد مدة تسع سنوات متوالية. وتوقفت المجلة عن الصدور عام 1961 نتيجة بعض الصعوبات المالية. وكان العريان يشارك في المجلة بكتابة حلقات «رحلات سندباد» التي أخرجها بعد ذلك في أربعة أجزاء، ونال عليها جائزة الدولة التشجيعية للقصة عام 1962. إلى جانب عدة أعمال أخرى منها: على باب زويلة، وشجرة الدر، وقصة الكفاح بين العرب والاستعمار.

---

(1) علي الحديدي، ص270.

(2) سامي عزيز. صحافة الأطفال. القاهرة: عالم الكتب، 1970، ص72.

(3) نفس المصدر، ص75.